DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

BM-Publisher

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة : www.muthuruk.com

المعنى وتعدد التوجيه النحوي في تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي

مرجع الضمير مثالاً

حازم موحان مزهر*

أحمد حسين عبد السادة

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:

تاريخ الاستلام: 2021/3/3

تاريخ التعديل : 2021/3/15

قبول النشر: 2021/3/23

متوفر على النت: 2021/6/30

الكلمات المفتاحية :

مرجع الضمير

عودة الضمير

السيد الطباطبائي

توجيه

المعنى

الملخص

تكمن أهمية البحث في بيان العلاقة بين المعنى وتعدد التوجيه النحوي في مرجع الضمير, وقد تبين البحث من وجود علاقة بينهما؛ إذ يتعدد المعنى تبعاً لتعدد توجيه مرجع الضمير في الآيات القرآنية, وقد تنبه العلماء على ذلك, فنجدهم – ومنهم السيد الطباطبائي – قد وقفوا في كثير مِن الآيات القرآنية ليبينوا التوجيهات المحتملة لمرجع الضمير, والمعنى الذي ينتج عن كل توجيه من هذه التوجيهات.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2021

المقدمة

عُني العلماء والباحثون قدماء ومحدثون بالدراسات القرآنية, خدمةً لكتاب الله العزيز, وطلباً لمرضاته, فأسفر هذا الاهتمام عن كشف غور كثير من العلوم التي كانت غائبة عنهم, وبزوغ فجر علوم أخرى لم تكن معروفة عندهم, مِنْها علوم العربية والمعنى وعلوم التفسير وغيرها كثير؛ فأصبحت الدراسات القرآنية أساساً لابد للمعني بالعلوم الانسانية - ألغوية كانت أم اجتماعية – من المرور بها والتوقف عليها.

وقد نشأت عند العلماء المهتمين بدراسة القرآن الكريم, والكشف عن معاني الآيات الكريمة كثير مِنَ الآراء والقراءات التفسيرية التي تعود في كثير منها إلى اختلافات في التوجيهات النحوية, والآراء التي أنتجتها المدارس النحوية بعلمائها ومفكريها, لاسيما أنَّ كثير مِنْ علماء النحو هم ممن تصدوا إلى دراسة القرآن الكريم وإعرابه وتفسيره كالكسائي والفراء والزجاج والزمخشري وغيرهم كثير؛ فطغت عليهم النزعة النحوية في تفسيراتهم, وأصبح التفسير ميداناً لتطبيق آرائهم النحوية المختلفة, فجاءت كتب التفسير القرآني محملةً بكثير مِنَ التوجيهات النحوية التي قد يقبلها منهج نحوي تابع لمدرسة ما ويؤولها منهج آخر تابع لمدرسة أخرى.

وقد وقف هذا البحث على علاقة المعنى التفسيري عند علماء التفسير بالتوجيهات النحوية التي يحتملها مرجع الضمير في الآيات القرآنية, فوقفنا على التوجيهات التي ذكرها السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان, ثم انطلقنا مِنْ هذه التوجيهات لنقف على ما ذكره علماء النحو وعلماء التفسير الآخرون في هذه التوجيهات, وأثرها على المعنى التفسيري للآيات الكريمات.

*الناشر الرئيسي : E-mail : hazimmuhan12345@gmail.com

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين ثم خاتمة على وفق الترتيب الآتي:

- ❖ تمهيد:
  - مفهوم الضمير وأقسامه.
  - مرجع الضمير.
- ❖ المبحث الأول: تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر.
- ❖ المبحث الثاني: تعدد توجيه في مرجع الضمير الظاهر:
  - أولاً: ضمير المخاطب.
  - ثانياً: ضمير الغائب:
  - الخاتمة والنتائج
  - مصادر البحث

التمهيد

مفهوم الضمير و أقسامه:

درس النحويون الضمير في باب النكرة والمعرفة, وكذلك تحدثوا عنه مبثوثاً في كتبهم؛ إذ يسميه البصريون (الضمير, أو المضمر), في حين سماه الكوفيون (الكناية), أو المكنى[1], والتسميتان تحملان الدلالة نفسها, ويعرفونه بقولهم: "وهو الموضوع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه, أو خطابه, أو غيبته"[2], وقسموه أقساماً عدة, فهو مِنْ حيث الغيبة, والحضور يقسم على: ضمير متكلم نحو: (أنا, ونحن), وضمير مخاطب نحو: (أنت, وأنتما, وأنتم), وضمير غائب نحو: (هو, وهما, وهم), أمّا مِنْ حيث الظهور والخفاء, فقسموه إلى ظاهر, ومستتر, فالظاهر: هو "ما له صورة في اللفظ"[3], نحو قوله تعالى: **سمح**وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ**سجى** [التكوير: 24], والمستتر ما ليس له صورة في اللفظ[4], وهو قسمان: واجب الاستتار, وجائزه, فالواجب هو كل ضمير ملحوظ لا يصحّ أنْ يحل محله اسم ظاهر, نحو قولنا: (افهم درسك), والمستتر: هو كل ضمير ملحوظ يصحّ أنْ يحل محله اسم ظاهر[5], نحو: (زيد يجتهد في الدرس), ثم قسموا الضمير الظاهر مِنْ حيث الاتصال والانفصال إلى: متصل, ومنفصل, فالمتصل هو كل ضمير استقل بنفسه, نحو قوله تعالى: **سمح**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ**سجى** [القلم: 4], وهو مِنْ حيث الإعراب ثلاثة: ضمير رفعٍ, ونصبٍ, وجرٍ, نحو قوله تعالى: **سمح**إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰ**سجى** [النجم: 23], فالواو ضمير رفعٍ, والهاء ضمير نصبٍ, والكاف ضمير جرٍ, والمنفصل: ما لم يستقل بنفسه[6], وهو من حيث الإعراب نوعان : رفع, نحو قوله تعالى: **سمح**فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ**سجى** [النازعات: 24], ونصب, نحو قوله تعالى: **سمح**إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ**سجى** [الفاتحة: 5].

مرجع الضمير:

إنَّ المتتبع لأقوال النحويين في الضمائر يجد أكثر اختلافهم في مرجع ضمير الغائب, وأقل منه في المخاطب, ويكاد أنْ يكون معدوماً في المتكلم, ويمكن أنْ نضع تفسيراً لذلك الاختلاف وفق مقولاتهم؛ إذ يعدُّ النحويون الضمير مِنَ المعارف, واختلفوا في الضمير العائد إلى النكرة, فمِنْهم مَنْ عدَّه نكرة مطلقاً, ومِنْهم مَنْ عدَّه معرفة مطلقاً, ومِنْهم مَنْ ذهب إلى القول بأنّ الضمير العائد على النكرة الواجبة التنكير نكرة, والعائد على الجائزة التنكير معرفة[7], وذهبوا إلى القول بأنّ الضمائر تتباين في درجة التعريف, قال ابن عقيل: "ضمير المتكلم أخص مِنْ ضمير المخاطب, وضمير المخاطب أخص مِنْ ضمير الغائب"[8]؛ ولذلك قالوا بأنَّ الضمير لابد له مِنْ مُفسِر يعود عليه, فإنْ كان الضمير يعود على المتكلم, أو المخاطب؛ جعلوا الحضور هو الذي يفسره, وإنْ كان الضمير يعود على الغائب؛ كان لابد له مِنْ مُفسِر مذكور, أو مفهوم[9], والقول بوجد مُفسِر مذكور, أو مفهوم؛ مدعاة للاختلاف في ماهية هذا المُفسِر, وهذا الكلام يفسر لنا سبب كثرة اختلافهم في عودة ضمير الغائب نسبة إلى باقي الضمائر الأخرى؛ ولذلك نجد أنّ العلماء قد وضعوا مجموعة مِنَ القواعد التي تحدُّ مِنَ اللبس الحاصل؛ بسبب عودة الضمير لأكثر مِنْ مرجع, مِنْ هذه القواعد على سبيل التمثيل لا الحصر[10]:

1- لابد للضمير مِنْ مفسر يعود عليه مذكور قبله, أو مفهوم مِنَ السياق .
2- أنْ يعود الضمير على أقرب مرجع له .
3- إذا وجدت قرينة؛ فيمكن أنْ يعود الضمير على المرجع الأبعد .
4- أنْ لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة؛ لمنع اللبس .

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

إلّا أنّ هذه القواعد قد تُخرق في بعض الأحيان, فنجد الضمير مثلاً يعود على الأبعد مِنْ دون الأقرب, أو قد يعود على المتأخر لغرض ما, أو معنى لا يمكن أنْ يُؤدى بغير تلك الطريقة.

وتكمن أهمية الضمير في اللغة العربية بأنّه وسيلة مِنْ وسائل الربط بين الكلمات , أو الجمل التي تؤلف النص؛ لذا نجد كثير مِنَ المفسرين - ومِنْهم السيد الطباطبائي - الذين تعاملوا مع السورة القرآنية, أو القرآن بكونه مجموعة مِنَ النصوص مؤلف مِنْ آيات وسور, تجمعها وحدة الموضوع, وقد عنوا كثيراً بالضمير وبيان المرجع الذي يعود عليه؛ لما له مِنْ أهمية كبيرة في بيان المعنى المقصود مِنَ الآية, أو السورة؛ إذ يؤدي الاختلاف في بيان مرجعه إلى اختلاف في بيان المعنى المقصود مِنْهما, وهذا الاختلاف يتدرج بين يسير إلى شديد, وقد يصل إلى حد التعاكس والتضاد بين المعاني, , وسنقف في دراستنا على بعض الأمثلة التي توضح ذلك الاختلاف.

المبحث الأول: تعدد توجيه مرجع الضمير المستتر

1- قوله تعالى: **سمح** ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ **سجى** [البقرة: 124].

ذكر السيد أنّ توجيه الضمير المستتر في (أتمّهن) يحتمل أمرين: الأول عودته على إبراهيم - عليه السلام -, وعلى هذا التوجيه يكون المعنى إتمامه, وإتيانه - عليه السلام - لما أُريد منه, وامتثاله لما أمره الله به, واجتيازه لجميع الابتلاءات والامتحانات التي تؤهله لينال مقام الإمامة؛ اذ يرى السيد أنّ المقصود بالكلمات هنا مجموعة الابتلاءات التي مر بها إبراهيم عليه السلام .

أمّا الثاني فهو عودة الضمير عليه تعالى؛ والمعنى أتمّهن, أي وفقه الله تعالى لما أُريد منه, وساعده على ذلك, وهذا الأخير هو المعنى الأقرب عند السيد كما يفهم مِنْ كلامه[11], وربّما احتمل هذا التوجيه معنى آخر لم يذكره السيد, وهو إتمام الله تعالى وإكماله للاختبارات التي خصصها لإبراهيم - عليه السلام -؛ لينال هذا المقام, أي مقام الإمامة, وذكر مقاتل في تفسير الآية أنّ المقصود بالكلمات كلّ مسألة ذُكرت في القرآن ممّا سأل إبراهيم, كدعوته بجعل هذا البلد آمناً, وغيرها[12], وفي معنى الكلمات خلاف يطول شرحه[13].

ووجّه الفراء الآية على التوجيه الأول, ولم يذكر سواه[14], ويُفهم من كلام السمعاني الاقتصار عليه[15], وذكر الزمخشري أنّ الضمير يحتمل عودته على إبراهيم بمعنى قام بهنَّ أحسن قيام, وأداهنَّ أحسن تأدية مِنْ دون تفريط وتوان, ويحتمل عودته على الله تعالى بمعنى إعطاء الله تعالى له كل ما طلب مِنْ غير نقص[16].

ولنقف قليلاً لنناقش هذين التوجيهين وبيان مواضع القوة, والضعف في كل منهما, إذ قيل في عودة ضمير فاعل الفعل (أتمّهن) توجيهان هما:

أ- عودته على الهاء في (ربّه) العائد على إبراهيم -عليه السلام-, والمعنى إنّ الله تعالى قد ابتلا إبراهيم ببعض الابتلاءات, فلما اجتازهنَّ وأتمهنَّ؛ أعطاه الله تعالى مقام الإمامة, وجازاه على ذلك.

وبالعودة إلى السياق اللفظي للآيات فإنّ ما يعضّد هذا الرأي قوله تعالى: "إني جاعلك للناس إماماً"؛ إذ إنّ مقام الإمامة كان جزاءً, ومكافأةً مِنَ الله تعالى على اجتياز إبراهيم وإتمامه للاختبارات والابتلاءات الإلهية, فالآية الكريمة مقدمة تمهد للآيات اللاحقة التي تتضمن اختيار القبلة, ومكانة البيت الحرام, وتبين على سبيل الإشارة سبباً مِنْ أسباب اختيار هذا البيت كقبلة يتوجه إليها مَنْ انتسب للإسلام ديناً, فإنّ الإمامة تتطلب الإتّباع, ومِنَ الاتباع التوجه للقبلة التي اشتملت على آثار الإمام؛ بما حوته مِن مواقف روحية, ودينية, وتاريخية.

ب- أنْ يكون عائداً على (رب), أي عليه تعالى, والمعنى إنّ الله تعالى قد وفق إبراهيم عليه السلام, وأيده؛ لاجتياز هذه الامتحانات, ويمكن أنْ يحتمل أنَّ الله تعالى قد أتم على إبراهيم عليه السلام هذه الامتحانات الموجبة لمقام الإمامة, فهو إتمام منه تعالى بالإكمال والتوفيق, وربّما قيل أنَّ هذا المقام - مقام الإمامة - هو من قبيل النعم التي أتمَّها الله تعالى على إبراهيم عليه السلام.

ويبدو أنّ ما يرجح الوجه السابق على القراءة التأويلية السابقة, هو ما يرجح هذا الوجه على قراءة تأويلية اخرى؛ إذ إنّه يمكن أنْ يُقال إنَّ الله تعالى قد أتمَّ لإبراهيم عليه السلام مستوى يُجيزُ له الانتقال إلى المستوى الذي يليه, وهو الاختبار بالإمامة, فهي وإنّ

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

كانت مقام تشريف, فلا تخلوا مِنَ الاختبار, بل ما يراه الباحث أنّ هذا الاختبار اصعب ممّا سبقه مِن الاختبارات؛ إذ يتطلب قدرة خاصة لا تتاح إلّا لمَن وفقه الله, وصقل نفسه, ورباها بالصبر, واجتياز المحن.

وبهذا يتساوى التوجيهان قرباً وبعداً مِنْ إمكانية القصد؛ لذلك لابد لنا مِنْ ضابط نحتكم إليه ليقربنا من المعنى المقصود ولو كان تقريباً نسبياً, وهذا الضابط الذي يمكن أنْ نحتكم إليه في هذه الحالة هو القاعدة النحوية؛ إذ يقول النحويون: إنَّ الضمير في مثل هذه الحالة يعود على أقرب مرجع له[17], وأقرب مرجع هو الضمير (الهاء) في (ربّه)؛ ليترجح الأول على الثاني.

2- قوله تعالى: **سمح**فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ**سجى** [التوبة: 77].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه عودة ضمير فاعل الفعل (أعقب) أنّه عائد على البخل أو فعلهم الذي منه البخل, ويمكن أنْ يعود على الله تعالى في قوله: **سمح**۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**سجى** [التوبة: 75], واحتمل الوجهين, فيكون المعنى على التوجيه الأول: فأورثهم البخل وامتناعهم عن اداء الصدقات التي وعدوا بأدائها نفاقاً يدوم لهم, ولا يفارقهم حتى موتهم, أمّا على التوجيه الثاني فالمعنى جازاهم الله تعالى النفاق في قلوبهم؛ بسبب ما صنعوا إلى يوم يلقونه[18].

وقد ذكر القرطبي الوجه الثاني بقوله أعقبهم الله, و صدر الوجه الأول بقيل[19], ونسب الزمخشري الوجه الأول للحسن[20], وقتادة[21] - ﷺ – واختار مِنْ التوجيهات الوجه الثاني[22], وذكر ابن عطية عودته على الله تعالى, واحتمل عودته على البخل[23], وذكر أبو السعود الوجه الثاني, ويفهم من قوله: "أي جعل الله عاقبةَ فعلِهم ذلك"[24] ولم يذكر غيره, واكتفى صاحب مدارك التنزيل بالوجه الأول مِنْ دون ذكر الوجه الثاني[25].

وخلاصة ما قيل في توجيه عودة ضمير الفاعل في الفعل (أعقب):

أ- أنْ يعود على الله تعالى, والمعنى أعقبهم الله تعالى النفاق في قلوبهم ملازماً لهم حتى مماتهم؛ بما بخلوا, وما يرجح هذا الوجه مِنَ السياق اللفظي قوله: (بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ), فيكون النفاق جزاءً مِنَ الله لهم؛ بسبب مخالفتهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم, وبسبب كذبهم, فالباء تدل على السبب, ومجمل الوعد الذي قطعوه وكان سبباً في إتيان الله تعالى لهم الفضل يبينه قوله تعالى: **سمح**۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**سجى** [التوبة: 75], فلمّا آتاهم الله ما طلبوا كذبوا, وبخلوا؛ فجازاهم بالنفاق نتيجة كذبهم وبخلهم, ومعنى (أعقبهم): عاقبهم وجازاهم[26].

ب- أنْ يعود على البخل, أو فعلهم الذي منه البخل, والمعنى أعقبهم البخل, أو فعلهم هذا النفاق إلى يوم يلقون جزاء هذا العمل, وهو يوم القيامة, أو يوم الممات, والذي يرجح هذا الوجه قرب المرجع مِنَ الضمير مع إمكان عودة الضمير عليه.

ويرى الباحث أنّ مآل التوجيهين واحد, فالبخل بما أودعه الله مِنْ خصائص تحت قانون العلية؛ هو الذي أورثهم النفاق إلى يوم مماتهم؛ إذ إنّ الصفات بما تشتمل عليه مِنْ خصائصٍ, والأعمال بما تورّث من نتائج, تؤثر على سلوك الإنسان بشكل كبير, ولقرب البخل وصلاحية الضمير للعودة عليه؛ يسير الباحث في ركب مَنْ رجح الوجه الثاني على الأول.

3- قوله تعالى: **سمح**كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ**سجى** [عبس: 23].

ذكر السيد الطباطبائي في توجيه ضمير الفاعل للفعل (يقضي), أنّه عائد على الإنسان, وهو الظاهر عنده بدلالة السياق, والمعنى لمّا أشير إلى تدبير الله تعالى لشؤون الإنسان منذ أول وجوده حتى آخر خلقه مِنْ تقديرٍ, وتيسرٍ وإماتةٍ وإقبارٍ ونشرٍ, كله نِعمٌ مِنْ نِعمِ الله تعالى مَنَّ بها عليه فكأنّه قِيل, وماذا صنع هذا الإنسان؟, أ شكر هذه النعم وخضع لله ؟

فكان الجواب كلا, فإنَّه لم يأتِ بما أمره الله به[27], أو لم يأتِ به كاملاً, ثم ذكر بعد ذلك أنّه قيل عائد على الله تعالى, والمعنى إنّه تعالى لمّا يقض لهذا الإنسان الكافر بأنْ يأتي بما أمره مِنْ طاعته

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

تعالى والإيمان به, بل كان أمره إياه إتماماً للحجة عليه, وهو توجيه بعيد برأيه[28].

ونقل القرطبي عن مجاهد[29], وقتادة لمّا يقضِ, أي لا يقضي أحد ما أمر به, وعن ابن عباس[30] لم يفِ بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم, وعن الحسن, أي حقاً لم يعمل بما أمر به[31], وقال مقاتل بن سليمان في تفسير الآية: "لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ يعني ما عهد الله إليه أمر الميثاق الأول، يعنى التوحيد "[32], ويفهم من قوله أنّ الضمير عائد على الإنسان, ومثله البغوي[33], وذكر أبو السعود أنّه لم يقض أحد من آدم - عليه السلام - وحتى يومنا هذا كل ما أمره الله به؛ إذ لا يخلو أحد مِنَ التقصير[34], وهو ما قاله البَيضاوي[35], وذكر الماوردي في عودة الضمير وجهين: الأول عودته على الكافر؛ إذ إنّه لم يقضِ ما أمره الله به, والثاني عودته على الأنسان بالعموم الكافر, وغير الكافر؛ إذ إنّه لم يؤدي كل ما أمره الله تعالى به[36].

وخلاصة ما قيل في توجيه الضمير ثلاثة :

1- عودته على فاعل (أنشره), أي الله تعالى في قوله تعالى: **سمح**ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ**سجى** [عبس: 22]؛ فيكون المعنى وفق هذا التوجيه: إنّ الله تعالى لم يقض لهذا الكافر إتمام ما أمره به, وإنّما أمره مِن قبيل إتمام الحجة, وهو أشبه بقول الجبرية بأنَّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر, وهذا الرأي أضعف الآراء لما فيه مِن مخالفة نهج القرآن الكريم الذي صرح به في كثير من الآيات الكريمة كقوله تعالى: **سمح**إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا**سجى** [الإنسان: 3], وغيرها مِنَ الآيات, وكذلك ما فيه مِن نسبة قضاء مخالفة الكافر اليه تعالى, وهو مرفوض عقلاً, كما لا يخلوا مِنْ مخالفة سياق الآيات القرآنية السابقة؛ إذ أنّ قوله تعالى: **سمح**ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ**سجى** [عبس: 20] على بعض التوجيهات[37], إشارة إلى تسهيل سلوك سبيل الحق والرشاد, وطريق الهداية والصلاح .

2- عودته على ضمير النصب (الهاء) في(أنشره) في الآية السابقة, والذي يرجح عودة الضمير على الهاء قربه؛ فيكون عائداً على جميع البشر, والمعنى إنّ الإنسان - أيّ إنسان منذ آدم حتى يومنا - لم يأتِ بكل ما أمره الله تعالى؛ إذ لا يخلوا إنسان مِنَ النقص, وهذا التوجيه لا يخلوا مِنَ الضعف أيضاً؛ إذ أنَّ الأنبياء عليهم السلام مِنَ البشر, ومِنْ غير المعقول نسبة مُخالفة الله تعالى لهم, أمّا إذا قيل قد ثبتت المخالفة لبعض الأنبياء؛ فنقول وإنْ سلمنا بالأمر, فإنَّ بعض الأنبياء لم يثبت عنهم المخالفة كالنبي عيسى مثلاً, وهنالك تفسير آخر قد يكون مقبولاً ذكره ابن عاشور في عودة الضمير على كل بني البشر مستنداً فيه إلى وقوع (كلّا) صلة في الكلام[38], مجمله أنَّ الله تعالى زجر مَنْ قال فلماذا لا تقوم القيامة بـ (كلّا), ثم وقعت جملة (لمّا) تعليلاً للزجر, والمعنى أنّ الإنسان لم يقض ما أمره أي مدته على الأرض, أو الغاية التي خُلق من أجلها حتى يومنا هذا.

3- عودته على الهاء أيضاً على أنّ المقصود بها الكافر, والمعنى أنّ الكافر لم يقض ما أمره الله تعالى به مِن أوامر, وفيه أنّ مرجع الهاء خارجي لم يُذكر في سياق الآيات على هذا التوجيه.

والذي يظهر للباحث مِنْ سياق الآيات, أنّها تتحدث عن الإنسان بما هو إنسان بمفهومه العام, والمقصود جنس الإنسان, بما يحوي من طبائع العناد وكفر النعمة وإباحة المحظورات, وحب السلطة والسيطرة والامتلاك, وهذا حال السواد الأعظم فيهم؛ فيكون المعنى لما يقضِ أكثرهم ما أمره الله به, وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى في بعض آياته منها قوله تعالى: **سمح**الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ**سجى** [الرعد: 1].

المبحث الثاني: تعدد توجيه في مرجع الضمير الظاهر

أولاً: ضمير المخاطب:

أ- قوله تعالى: **سمح**قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ**سجى** [آل عمران: 13].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ ظاهر السياق في الآية الكريمة يشير إلى أنّ الخطاب موجه للذين كفروا؛ فيكون ضمير المخاطب في

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

قوله (لكم) عائد على الذين كفروا, والكلام مِنْ تتمة قول الرسول - صلى الله عليه وآله – في قوله تعالى: سمحقُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُسجى [آل عمران: 12], والمعنى أنكم أيُّها الكافرون لو كنتم تملكون شيئاً مِنَ البصيرة؛ لاتعظتم بما رأيتم يوم بدر, وهذا الوجه هو الأنسب للسياق في نظر السيد, ويمكن أنْ يعود الضمير على المؤمنين, والخطاب موجه لهم؛ إذ يدعوهم للتفكر والاعتبار بما مَنّ الله عليهم في بدر, وذلك حين أيدهم بنصره بالتصرف في أبصار العيون[39], والتوجيه الذي لم يذكره الطباطبائي هو ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان, وهو أنَّ الخطاب موجه لليهود, والضمير عائد عليهم, وذلك لأنّ اليهود مِنْ بني قينقاع أتوا النبي- صلى الله عليه وآله- بعد وقعة بدر يوعدونه القتال[40].

ومذهب الزمخشري أنَّ الخطاب لمشركي قريش[41], وذكر أبو حيّان التوجيهات السابقة, ونسب القول بعودة الخطاب على المؤمنين لابن مسعود[42] والحسن, والآية لتثبيت النفوس وتشجيعها, ونسب القول بعودته على اليهود للفراء وابن الأنباري[43] وابن جرير[44], والآية تخويفاً لهم, ولم ينسب القول في عودة الخطاب على الكافرين, والآية للتخويف أيضاً[45].

ونفهم مِنْ أقوال المفسرين أنّ توجيه الضمير في (لكم) يحتمل أمرين:

1- عودته على ضمير الجمع في (تحشرون) في الآية السابقة, والكلام مِنْ تتمة قول الرسول – صلى الله عليه وآله – والخطاب فيه إمّا للكافرين, أو لليهود.
2- عودته على المؤمنين أولوا الأبصار المذكورين في الآيات السابقة, والآية دعوة لهم للتفكر والتدبر, وأخذ العبرة مما حصل في بدر.

والمتدبر في سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية, يجد أنّها تتحدث عن الكافرين, وهذا يؤيد القول برجاحة الوجه الأول, وتؤيده أيضاً على المعنى الأول قراءة نافع[46] (تَرَوْنَهُمْ) مِنَ السبعة[47], على توجيه مَن قال بأنَّ رؤية المثلين حصلت للكافرين؛ لأنّ الله قلل المشركين في نظر المؤمنين على ما تذكره الآية في سورة الأنفال وهو قوله تعالى: سمحوَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُسجى [الأنفال: 44], والقصة واحدة[48].

ب- قوله تعالى: سمحوَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗاسجى [مريم: 71].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ الخطاب في الآية الكريمة لعامة الناس, مؤمنين وكافرين, واستدل على ذلك بالسياق اللفظي, ودليله قوله تعالى: سمحثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗاسجى [مريم: 72], ثم ذكر أنّه ربّما قيل أنّ الخطاب للكفار المذكورين في الآيات السابقة[49], وقد ذكر الطبري التوجيه الأول فقال: "وَإِنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا وَارِدٌ جَهَنَّمَ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ إِيرَادُهُمُوهَا قَضَاءً مَقْضِيًّا، قَدْ قَضَى ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ"[50], وذكر مكي الوجه الثاني[51], واختلفوا في معنى الورود, فقال بعضهم الدخول, وقال بعضهم الدخول ولكنَّه مختص بالكافرين, وقال بعضهم المرور عليها[52].

وخلاصة القول في توجيه الآية هو :

1- عودة الضمير على الناس كافة, والمعنى ما منكم أيّها الناس إلّا واردها, أي مار بها, أو مشرف عليها.
2- عودته على الكافرين خاصة, والمعنى ما منكم أيها المذكورون إلّا واردها, أي داخلها.

والمتدبر لسياق الآيات الكريمات يجد أنْ الآيات السابقة تخاطب الإنسان كجنس؛ إذ تذكر تعجب الإنسان مِن خروجه بعد الموت حياً, وتوبيخه على هذا القول, ثم تعرج على قصة حشر الإنسان, وهو ما يخص جميع بني البشر, ثم تذكر الورود على جهنم, فالسياق واحد متصل بدلالاته, وهوما يعضد الوجه الأول, ثم تتبعها الآية التي تذكر أنَّ الله تعالى ينجي المتقين ويذر فيها الكافرين مصدراً الآية بحرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي, مما يؤيد ما ذكر سابقاً.

ت- قوله تعالى: سمحفَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡسجى [الحاقة: 19].

ذكر السيد الطباطبائي أنَّ ضمير (اقرءوا) خطاب للملائكة, والمعنى أنَّ مَنْ أوتي كتابه في يمينه يقول للملائكة اقرءوا كتابي الموجب لسعادتي[53], وللمفسرين في توجيه الضمير آراء أخر, منها أنْ يعود على أصحابه, والمعنى أنّ الرجل إذا أوتي كتابه بيمينه,

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

وغُفرَتْ سيئاته, وضُوعفَتْ حسناته, يُقال له انطلق إلى أصحابك, فبشرهم وأخبرهم بهذا[54], ومنها أنّ الخطاب يعود على كل من يلقاه, والمعنى أنّ مَن أوتي كتابه بيمينه, يخبر كل مَن يلقاه مِن شدة فرحه وسروره[55], ومِنها ما ذهب إليه أهل التأويل، أنَّ الخطاب مِن الملائكة الكاتبين, والمخاطب هو كل من أوتي كتابه؛ فيعود الضمير عليه, فيقال له خذ اقرأ كتابك وما كتب لك وعليك[56].

وخلاصة ما ذُكر مِنْ توجيه المفسرين لعودة الضمير:

1- أنْ يعود على الملائكة, فيكون خطاب من الذي أوتي كتابه في يمينه للملائكة أنْ اقرءوا كتابي الموجب لساعدتي .
2- أنْ يعود على أصحابه, فيذهب من أوتي كتابه, فيقول لأصحابه, خذوا فاقرءوا كتابي.
3- أنْ يعود على كل من يلاقيه, فيقول لهم من شدة فرحه خذوا, و اقرءوا كتابي .
4- أن يعود على كل من أوتي كتابه, والخطاب مِنَ الملائكة الذين يسجلون الأعمال في الدنيا, فيقولون له خذ واقرأ ما لك وما عليك.

وبالعودة إلى سياق الآية نجد أنّ الآية متصلة بما قبلها وما بعدها, فالآية التي قبلها تتحدث عن كل مَن أوتي كتابه بيمينه, والآية التي بعدها تتحدث عن سبب إتيان الكتاب باليمين, ويمكن أنْ تشير إلى ثقة مَن أوتي كتابه بيمينه بوعد الله تعالى لمن ظنّ في الدنيا أنّه ملاقيه, وهذا الاتصال يبعد ترجيح التوجيه الأخير, ويعضد ترجيح الثاني والثالث, ويحتمل الأول؛ إذ إنَّ الآيات تتحدث عن كلّ من أوتي كتابه بيمينه, وليس الحديث عن الملائكة, فيكون القول: (هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ) قول من أوتي كتابه بيمينه موجهاً إلى أصحابه, أو إلى كل من يلاقيه, أو إلى الملائكة

ثانياً: ضمير الغائب:

1- قوله تعالى: **سمح**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**سجى** [المائدة: 23].

ذكر السيد الطباطبائي في تفسير الآية أنّ ظاهر السياق يدل على أنّ المقصود مِن المَخافة هي مخافة الله تعالى[57]؛ فيكون تقدير الآية: مِن الذين يخافون الله , ثم أضاف بأنْ هنالك رجالاً كانوا يخافون الله أنْ يعصوا أمره, ويعصوا نبيه, ومِنْ هؤلاء الرجال هذان الرجلان المذكوران في الآية الكريمة, وقد اختصهما الله مِنْ بينهم بأنْ أنعم عليهم, فهما مِنْ أولياء الله الصالحين, وهذه قرينة على المقصود بالمخافة هي مخافة الله تعالى؛ إذ إنّ أولياء الله الصالحين لا يخشون غيره[58], ويفهم من قوله أنّ الضمير في يخافون (واو الجماعة)عائد على الذين؛ فيكون المعنى قال رجلان من الذين يخافون الله ...

وقال مقاتل بن سليمان: "قال يوشع بن نون – وهو من سبط بنيامين - وكالب بن يوقنا وهو من سبط يهوذا قال رجلانِ وهما الرجلان مِنَ القوم مِنَ الذين يخافون مِنَ العدو وقد أنعم اللَّه عليهما بالإسلام"[59], وذكر صاحب تفسير المنار أنّ المعنى هو من الذين يخافون الله, وقيل يخافون الجبارين, والنعمة هي طاعته وطاعة رسوله مع خوفهم من الجبارين[60], ووفق هذا المعنى يكون تقدير الآية قال رجلان من الذين يخافون الجبارين أو يخافون العدو .

ثم نقل السيد الطباطبائي بعد ذلك قول بعض المفسرين بأنّ الضمير (الواو) في يخافون عائد على بني إسرائيل, وعائد الموصوف محذوف, والمعنى قال رجلان من الذين يخافونهم أي يخافهم بني إسرائيل, قد أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان, ويؤيد هذا الوجه القراءة التي نُسبت إلى ابن جبير[61], وهي قراءة (يُخافون) بضم الياء[62], وعلى هذا الوجه يكون الرجلان من العمالقة الذين يخافهم بني إسرائيل, لكنَّ الله تعالى مَنّ عليهم بنعمة الإيمان[63], وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس وغيره: الرجلان يوشع وكالب ابن يوقِنا, ويقال ابن قَانِيَا, وهما مِنَ الاثني عشر نقيبا, و يخافون, أي يخافون مِنَ الْجبارين, وعن قتادة: يخافون مِنَ اللَّه, وعن الضّحّاك[64]: هما رجلان على دين موسى كانا في مدينة الْجبارين، و(يخافون), أي يخافون مِنَ العمالقة لئلّا يطلعوا على إيمانهم؛ فيقتلونهم, وقيل: يخافون جبن بني إسرائيل وضعفهم, ثم ذكر قراءة (يُخافون) بضم الياء، وعدها دليلاً يقوي الرأي القائل بأنّهم من غير قوم موسى[65], وذكر الزمخشري أنّهما من الذين يخافون الله ويخشونه, ويمكن أنْ يعود على بني إسرائيل, والعائد على الموصول محذوف, والمعنى مِنَ الذين يخافهم بني إسرائيل[66].

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

وخلاصة ما قيل في ضمير الجمع الواو في يخافون وجهان :

أ- إنّه يعود على الّذين, وفيه أكثر مِنْ معنى: الأول قال رجلان من الذين يخافون الله وقد أنعم عليهم بالإيمان به وطاعته, ومخافته دون غيره, فهم جلدتهم ولكنّهم ما كانوا يخافون العدو بل يخافون الله تعالى, والثاني من الذين يخافون العدو, فهم مِن الخائفين , لكنّ أنعم الله عليهم بطاعته, وقيل خائفين مِن جبن بني إسرائيل وتخاذلهم.

وفيه أنّ من قال بهذا الوجه أقر بأنّ قوله (أنعم الله عليهم) هي جملة إخبار, إلّا أنّ المتدبر في سياق الآيات يلحظ أنّها يمكن أنْ تحتمل الإنشاء فتكون معترضة من باب الدعاء, وهذا ما ذكره ابن هشام في المغني بقوله : "فَإِن جملَة (أنعم الله عَلَيْهِمَا) تحْتَمل الدُّعَاء فَتكون مُعْتَرضَة والإخبار فَتكون صفة ثَانِيَة ويضعف من حَيْثُ الْمَعْنى أَن تكون حَالاً وَلَا يضعف فِي الصِّنَاعَة لوصفها بالظرف"[67], وما يرجح هذا التوجيه قرب المرجع مِنَ الضمير.

ب- إنّه يعود على بني إسرائيل, ويكون الضمير العائد على الموصول محذوف, والمعنى قال رجلان مِنَ الذين يخافهم بني إسرائيل, أي من العمالقة, وقد أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان, وما يرجح هذا الرأي في السياق أنّ في قوله: "ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ" إشارة إلى معرفة سابقة لهم بهؤلاء القوم, وما يؤيده أيضاً قراءة سعيد ابن جبير – ﷺ – التي استشهد بها من قال بهذا الوجه.

والذي يظهر للباحث أنّ كلا الوجهين مُحتمَل لذاته بدرجة متشابهة, إلّا ما يتعلق بقرب المرجع الذي يميل إلى ترجيح الأول على الثاني.

2- قوله تعالى: **سمح**وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**سجى** [المائدة: 58].

ذكر الطباطبائي في تفسيره أنّ الضمير (ها) في (اتخذوها) عائد على الصلاة[68], أي اتخذوا الصلاة هزوا بينهم, ونقل مقاتل في تفسيره أنّ اليهود إذا سمعوا الأذان, وقيام المسلمين إلى الصلاة قالوا قد قاموا لا قاموا, وعند الركوع قالوا لا ركعوا, وفي السجود كانوا يضحكون ويقولون لا سجدوا وهم مستهزئين[69], ثم ذكر الطباطبائي أنّ الضمير يمكن أنْ يعود على مصدر ناديتم, أي المناداة, والمقصود بالمناداة هنا الأذان قبل الصلوات المفروضة, وعلل لذلك بأنّ الضمير العائد على المصدر يجوز فيه التذكير والتأنيث[70], والمعنى أنّهم يتخذون الأذان هزوا, ونقل البغوي في تفسيره عن السُّدِّي[71] أنّ الآية نزلت في رجل نصراني بالمدينة كان يقول عند سماع قول المؤذن أشهد أنَّ محمداً رسول الله, حُرق الكاذب, وذات ليلة كان نائم هو وأهله فدخل خادمه بنارٍ, فتطاير شرار منها فأحرقهم, ونقل قول أخر نسبه لآخرون مجمله أنّ الكفار سمعوا الأذان فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به مِنْ قبل ...فمن أين لك صياح كصياح العير, فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر[72].

وخلاصة ما ذُكر في عودة الضمير (ها) في قوله (اتخذوها هزواً) قولان :

أ- عودته على الصلاة, والمعنى إذا قام المؤذن بنداء المسلمين إلى الصلاة اتخذ هؤلاء الصلاة هزواً ولعباً, وما يؤيد هذا الوجه قرب المرجع من الضمير, ومطابقته من ناحية التذكير والتأنيث .

ب- عودته على المناداة أي الأذان, والمعنى إذا قام المؤذن بنداء المسلمين إلى الصلاة قاموا بالاستهزاء مِنَ الأذان والسخرية منه, واتخذوا ذلك لعباً بينهم, فعاد الضمير المؤنث على المصدر (المناداة), والنحويون يختلفون في جواز عودة الضمير المؤنث على المصدر, فمِنَ النحويين مَنْ ذكر أنَّ الضمير العائد على المصدر يجب فيه الإفراد والتذكير, وجوز هشام وأصحاب سيبويه التأنيث فيه نحو: زيد أظنها قائم، أي أظن الظنة, وشرط الفراء أنَّ التأنيث يكون مع الاسم المؤنث نحو: هند أظنها قائمة، والهاء للظنة[73], فمن قال بعودة الضمير على المصدر سارٍ بركب من جوز تأنيث الضمير العائد على المصدر.

قوله تعالى: **سمح**رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ**سجى** [ص: 33].

ذكر الطباطبائي في عودة الضمير (ها) من قوله (رُدّوها) توجيهين مصدراً اياهما بـ (قيل): الأول أنْ يعود على الشمس, والمعنى أمرٌ من سليمان عليه السلام للملائكة لردِّ الشمس, بعد أنْ غربت

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

ليصلي صلاته في وقتها, فلمَّا ردّوها أخذ هو وأصحابه بمسح سيقانهم وأعناقهم, وكان هذا وضوءهم , ثم صلّوا, والثاني عودته على الخيل أي ردوا الخيل, وبعد أن رُدَّت أخذ يمسح سيقانها وأعناقها, فجعلها مسبلة في سبيل الله, ذلك جزاء اشتغاله بها عن الصلاة[74], ونقل البغوي في تفسير الآية عن الزّهري[75] وابن كيسان[76]: "إنّه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبّاً لها وشفقة عليها "[77], وقيل المراد بمسح السيقان والعنق ضربها بالسيف, وقطعها[78], وكان نتيجة غضبه في الله؛ لأنّها شغلته عن ذكر ربه[79], ونسب البغوي هذا القول إلى ابن عبّاس, والحسن, وقتادة, ومقاتل, وأكثر المفسرين[80], وجاء في تفسير المراغي أنّ سليمان أمر بأنْ تعرض أمامه الخيل ليعرف قوتها لارتباطها بقوة الفرسان, فعُرضت أمامه, فقال إنّي ما أحببتها للدنيا ولذاتها, وإنّما أحببتها لأمر الله, فلما غابت أمرهم بردها عليه, وأخذ يمسح سوقها وأعناقها سروراً, وليرى إنْ كانت فيها عيوباً مخفية تمنعها من أداء مهامها[81].

وخلاصة ما قيل في عودة الضمير في (ردوها) توجيهان :

أ- عودته على الشمس, والمعنى أمر مِنْ سليمان - عليه السلام - للملائكة بإرجاع الشمس؛ لكي يصلي صلاته في وقتها .

ب- عودته على الخيل, والمعنى أمر مِنْ سليمان - عليه السلام - لأصحابه الذين يقودون الخيل بردها إليه .

وقد رُوي أنّ هذه الخيل كانت من الخيول المجنحة التي تسير بسرعة الريح[82], فإذا ثبت هذا احتملت الآية توجيهاً آخر لم يذكره المفسرون, وهو أنَّ معنى ردوها, أي ردوا الخيل على جهة المغرب, ومعلوم أنّ غروب الشمس يكون بصورة تدريجية على الأرض - وهذا ما أثبته العلم الحديث - وبهذا يكون المعنى ردّوا الخيل إلى مكانٍ آخر لا تزال الشمس فيه ظاهرة لأجل أداء الصلاة.

والمتمعن في سياق الآيات يجد أنّ قوله (ردوها) مرتبط بقوله (توارتْ) ارتباط مطابقةٍ أو مخالفة, فمن وجه عودة ضمير فاعل الفعل (توارت) على الشمس فطابق بينهما, عاد الضمير على الفاعل العائد على الشمس, ومن خالف أعاده على الخيل, وكذلك من وجه عودة فاعل (توارت) على الخيل مطابقة أو مخالفة .

3- قوله تعالى: **سمح**وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**سجى** [النساء: 159].

في الآية ضميران اختلف العلماء في توجيههما, وهما الهاء في (به), والهاء في (موته), أمّا الهاء الأولى فذهب السيد الطباطبائي إلى القول بعودتها على عيسى عليه السلام[83], والمعنى وما مِنْ أحدٍ من أهل الكتاب إلّا ليؤمن بعيسى قبل موته, وهذا قول أغلب المفسرين[84], ثم ذكر قولاً أخر في عودته على محمد - صلى الله عليه وآله -, والمعنى وإنْ أحد من أهل الكتاب إلّا ليؤمن بمحمد - صلى الله عليه وآله - قبل أنْ يموت ذلك الكتابي, وردّ السيد هذا الرأي ووصفه بالسخف؛ إذ إنّ المقام والسياق لا يدلان على ذكر النبي محمد - صلى الله عليه وآله - في هذه الآية, وإنّما استند إلى بعض الروايات وهي من باب الجري[85], وروى البغوي هذا الرأي عن عِكْرِمَة[86], وأضاف أنّه قيل راجع إلى الله تعالى[87], والمعنى وما مِنْ كتابي, إلّا ليؤمن بالله تعالى قبل أنْ يموت.

أمّا الهاء في (موته), فذكر السيد لها توجيهين: الأول عودتها على المبتدأ المحذوف, والتقدير وإنْ أحد من أهل الكتاب إلّا ليؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام, أي إنّه ليظهر لهم في ساعة احتضارهم أنّ عيسى رسول الله وعبده, فلا ينفعهم هذا الإيمان, فيكون - عليه السلام - شهيداً عليهم يوم القيامة[88], ونسب البغوي هذا الرأي إلى كل من عِكرِمة, ومجاهد, والضّحّاك, والسُّدِّيّ[89], ونسبه القرطبي إلى ابن عبّاس والحسن ومجاهد وعِكرِمة[90], والثاني عودته على عيسى عليه السلام, وذُكر في هذا التوجيه أكثر من معنى , منها مستند على ما ورد من أخبار في بعض الروايات عن عيسى عليه السلام بأنّه حي لم يمت, وأنّه يعود آخر الزمان فيؤمن به أهل الكتاب يهوداً ونصارى, فيكون المقصود به أهل الكتاب من اليهود والنصارى في زمن نزوله دون المجموع[91], ونسبه القرطبي الى قَتادة, وابن زيد, وغيرهما[92], ووجه الاعتراض على هذا الرأي بأنّه موجب لتخصيص عموم, فقوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب) معنى عام يشمل جميع أهل الكتاب, ولا دليل على تخصصه بطائفة مِنْ دون أخرى من جهة اللفظ, والقول بهذا الرأي خاص بطائفة منهم وهم أهل زمان نزوله عليه السلام, وهذا موجب لتخصيص عموم[93], وقيل في الرّد على هذا الاعتراض: إنَّ عيسى - عليه السلام - عند نزوله سيؤمن به كل أهل

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

الكتاب ذلك الزمن, أمّا من لم يدرك زمن النزول فإنّه, يؤمن به قبل موته عند الاحتضار, فتأتيه الملائكة وتقول له أنّ عيسى عبد الله ورسوله, وعند ذلك لا ينفعهم إيمانهم[94], وهو قول مقاتل في تفسيره للآية الكريمة [95], ثم ذكر السيد وجهاً آخر في عودة الضمير عدّه من الوجوه الرديئة, وهو أنّ الضمير عائد على أهل الكتاب, والمعنى أنّ جميعهم يقولون أنّ عيسى الذي يظهر آخر الزمان نؤمن به, ونسب السيد هذا الوجه للزجاج[96], ووجه السخف فيه - على رأي السيد الطباطبائي - أنّ سياق الآيات يبين دعواهم قتل عيسى - عليه السلام - والردّ على هذا الادعاء, ولا يرتبط باعترافهم بظهور مسيح في آخر الزمان, ولو كان المراد به هذا الأمر لما وجدت حاجة لذكر قوله (قبل موته) ولا لذكر (يوم القيامة يكون عليهم شهيداً), فيكون ما ذكر زائد لا حاجة إلى ذكره[97], وذكر الزمخشري في الكشاف هذا الوجه ثم ذكر أنّه قيل عائد على عيسى عليه السلام, وأضاف في عودة الضمير على عيسى - عليه السلام - بعد أنْ ذكر معنى قريب ممّا ذكرنا - جواز أنّ المقصود جميع أهل الكتاب بأنْ يحييهم الله تعالى في قبورهم وقت نزوله, فيؤمنوا به, فلا ينفعهم ذلك[98], وقد وصف السيد الطباطبائي هذا القول بالغريب, وأنّه قول بالرجعة[99].

وخلاصة ما قيل في الآية الكريمة في الاختلاف في توجيه الضميرين هو :

في توجيه الهاء من قوله (به) : قيل أنّه عائد على عيسى عليه السلام , والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب - يهوديا أو نصرانيا - إلّا ليؤمن بعيسى عليه السلام قبل موت ذلك الكتابي , أو قبل موت عيسى عليه السلام , وقيل أنّه يعود على محمد صلى الله عليه وآله ,أي يؤمن بنبوة محمد , وقيل عائد على الله تعالى , والمعنى يؤمن بالله

5- قوله تعالى: **سمح**ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ**سجى** [فاطر: 32].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ الضمير في قوله (منهم) يحتمل عودته على اللذين اصطفينا, فيكون المعنى الظالم والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء بالوراثة, وإنْ كان السابق بالخيرات هو الوارث الحقيقي, وما يؤيد هذا الاحتمال – في نظر السيد – أنْ لا مانع مِنْ نسبة الوراثة للكل مع أنَّ القائم بها البعض, فهو نظير قوله تعالى: "وأورثنا بني إسرائيل الكتاب", مع إنَّ القائم بها بعضهم, ثم ذكر أنَّ المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات تشير إلى أنَّ المقصود من الظالم لنفسه هو الذي عليه شيء من السيئات, فهو مسلم من أهل القرآن لأنّه مِنَ المصطفين الوارثين للكتاب, والمقتصد هو المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق, والسابق هو المتقدم على الاثنين, ويحتمل عودته على عبادنا, وقوله تعالى (فمنهم) تعليل والمعنى أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا دون غيرهم؛ لأنّ في عبادنا من هو ظالم, وفيهم مقتصد, وفيهم سابق بالخيرات, ولا يصلح الكل للوراثة بل البعض[100], وذكر الماوردي في تفسيره قولين, الأول أنّ قوله تعالى (مِنهم ظالم لنفسه) كلام مبتدأ لا يرجع الى المصطفين, ومن قال بهذا فقد جعل مقصود المصطفين بالآية الكريمة هم الأنبياء, فيكون ما عداهم ثلاثة أقسام: وهم الظالم لنفسه, والمقتصد, والسابق بالخيرات, أمّا القول الثاني فهو عودة الضمير على المصطفين, فيكون بيان أحوالهم فمنهم ظالم لنفسه, ومنهم مقتصد, ومنهم سابق بالخيرات[101].

خلاصة الآراء في توجيه عودة الضمير (هم) في قوله (منهم) هي :

أ- عودته على الذين اصطفينا, والمعنى من الذين اصطفينا ظالم لنفسه, ومنهم من هو مقتصد, ومنهم من هو سابق بالخيرات .

ب- عودته على عبادنا, والجملة – منهم ظالم ...- تعليل لجملة الميراث والمعنى, أي أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفين, لا جميع عبادنا لأنّ منهم من هو ظالم لنفسه, ومنهم من هو مقتصد, ومنهم سابق بالخيرات .

ويبدو أنّ سياق الآيات يشير إلى التقسيم, فالآيات السابقة تذكر قصة إنزال الماء ليخرج به فواكه مختلفة الألوان والأنواع, ثم تعرج إلى تقسيم الجبال حسب ألوانها إلى بيض وحمر وسود, ثم تشير الآيات إلى أنَّ الناس والدواب والأنعام مقسمة بحسب الألوان, وتشير الآية التي بعدها إلى تقسيم العبادة فتذكر بعض هذه الأقسام وهي التلاوة والصلاة والإنفاق, ثم تقسم الإنفاق إلى إنفاق سر, وإنفاق علانية, والآية الكريمة في سياق التقسم أيضاً, فسمت الذين اصفاهم الله لوراثة الكتاب إلى الظالم لنفسه,

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

والمقتصد, والسابق بالخيرات, فالسياق يرجح عودة الضمير على الذين اصطفينا .

6- قوله تعالى: **سمح**فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ**سجى** [يونس: 83].

ذكر السيد الطباطبائي أنّ بعض المفسرين قالوا بعودة ضمير الغائب (الهاء) في (قومه) على فرعون, والذرية التي آمنت من قوم فرعون اتبعوا أمهاتهم في الإيمان؛ إذ كنَّ مِنْ بني إسرائيل, أمّا آباءهم فكانوا من القبط , وقيل: هم بعض أولاد القبط, وقيل: أُريد بذلك امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون, وقال آخرون بعودته على موسى والذرية هنا هم جماعة من بني إسرائيل, وهم الذين تعلموا السحر, وصاروا مِنْ اصحاب فرعون, وقيل: هم بنو إسرائيل عددهم ستمائة ألف وسماهم ذرية لضعفهم, وقيل ذرية بني إسرائيل الذين بُعث إليهم موسى, وقد هلكوا بطول العهد, والراجح عند السيد الطباطبائي بحسب السياق عودة الضمير على موسى, والمراد بالذرية هم مِنْ قوم موسى, وهم بعض الضعفاء مِنْ بني إسرائيل مِنْ دون الشرفاء والأقوياء[102].

وذكر البغوي في تفسيره اختلاف العلماء في عودة الضمير, فمنهم من قال بعودته على موسى, والذرية هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى, هلك الآباء وبقي الأبناء, قاله مجاهد[103], وذهب آخرون للقول بعودته على فرعون, وقد روي عن ابن عباس: "هم ناس يسير مِنْ قوم فرعون آمنوا، مِنْهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطته"[104], وذهب الزمخشري إلى أنَّ الذرية هم طائفة مِنْ ذراري بني إسرائيل, وكأنَّه قيل: فما آمن لموسى إلّا أولاد مِنْ أولاد قومه, وقد دعا الآباء ولم يؤمنوا له خوفاً مِنْ فرعون وآمن له الأبناء, ثم ذكر الوجه الآخر القائل بعودة الضمير إلى فرعون مصدراً اياه بـ (قيل)[105].

وخلاصة ما قيل في عودة الضمير (ه) في قوله (من قومه) وجهان:

أ- عودته على موسى - عليه السلام - والمعنى فما آمن لموسى إلّا ذرية من قومه, وهم المستضعفون.

ب- عودته على فرعون, والمعنى فما آمن لموسى إلّا طائفة من ذرية آل فرعون.

وسياق الآية يرجح الأول على الثاني بوصفه أقرب مرجع للضمير, أمّا في قوله (فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ) فإنْ أريد بالملأ الحاشية, ففيه إشارة إلى العامة مِنْ قوم فرعون, أو المستضعفين عامة, وإنْ أُريد بالملأ سادة بني إسرائيل, فيكون المعنى أنَّ الذرية مع خوفهم مِنْ فرعون خائفين مِنَ السادة مِن بني إسرائيل؛ لأنَّهم كانوا لا يؤمنون, أو لأنهم كانوا يتقربون إلى فرعون بذلك, وإلى هذا المعنى أشار الطباطبائي في تفسير (الملأ)( ), وهو ما يرجح عودة الضمير على موسى؛ وأنّ الذرية المستضعفة مِنْ قوم موسى.

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله حمداً دائماً متصلاً لا انقطاعَ له, ونشكره على جميل إحسانه وكثير نعماءه, وتمام آلاءه .

وبعد:

أبدى علماء التفسير أهمية كبيرة في بيان مرجع الضمير, والوقوف على الاحتمالات الممكنة التي يحتملها هذا المرجع؛ ذلك لأهميته وأثره في المعنى, فإنَّ لكل توجيه معنى خاصاً يختلف عن المعنى الذي ينتج عنْ التوجيه الآخر, وكان من بين هؤلاء السيد محمد حسين الطباطبائي الذي وقف كثيراً على بيان توجيهات مرجع الضمير في الكثير من الآيات الكريمة, وما ينتج عن هذه التوجيهات من معانٍ مختلفة, مرجحاً حيناً ومحيلاً الترجيح لفهم القارئ حيناً آخر.

وقد خلص البحث لمجموعة من النتائج منها:

1- اختلاف العلماء في تحديد مرجع الضمير بدقة في كثير من الآيات القرآنية الكريمة.
2- القواعد التي وضعها النحويون لتحديد مرجع الضمير لم تعن المفسرين على وضع تصور واحد لمرجع الضمير في كثير من الآيات القرآنية الكريمة.
3- تعدد المعنى في الآيات التي يتعدد فيها توجيه مرجع الضمير, فالمعنى يتعدد نتيجة تعدد توجيه المرجع.
4- لم يقتصر تعدد توجيه مرجع الضمير على نوع محدد مِن الضمائر, وإنّما كان شاملاً لأغلب الأنواع كـ (ضمير المخاطب, وضمير الغائب).
5- اهتمام السيد الطباطبائي ببيان تعدد توجيه مرجع الضمير في الكثير من الآيات التي تحتوي هذا التعدد, وبيان ما ينتج عنه من تعدد للمعنى.

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

الهوامش

[1] ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب, ابو حيَّان الاندلسي (ت: 745هـ), تح: د. رجب عثمان, مراجعة د. رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي بالقاهرة, ط1, (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م): 911/2.

[2] شرح تسهيل الفوائد, محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين, (ت: 672هـ) , تح : د. عبد الرحمن السيد, د. مجمد بدوي المختون, هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, ط1(1410هـ - 1990م): 120/1.

[3] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الانصاري (ت: 761هـ), تح: د. محمد عز الدين السعيدي, دار إحياء العلوم بيروت, ط1 (1419هـ - 1999م): 60.

[4] ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 60.

[5] ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى, عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت:761هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, القاهرة, ط11، (١٣٨٣م): 94.

[6] ينظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك, قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي, المصري, الهمداني (ت: 769هـ), دار مصر للطباعة, ط20, (1400هـ - 1980م): 96-87/1.

[7] ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, الإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (ت : 761هـ), دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان, ط1, (1422هـ - 2001م): 74.

[8] شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك: 106/1.

[9] ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: 76.

[10] ينظر: معاني النحو , د. فاضل صالح السامرائي, دار احياء التراث العربي, بيروت لبنان, ط1, (1428هـ - 2007م): 57/1 - 58.

[11] ينظر: الميزان في تفسير القرآن, العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, ط1, (1417هـ - 1997م): 264/1 - 265.

[12] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ), تح : عبد الله محمود شحاته, دار إحياء التراث, بيروت, ط1, (1423هـ): 136/1.

[13] اختلف المفسرون في بيان ماهية الكلمات التي ابتلى الله فيها إبراهيم عليه السلام وبينهم كلام طويل في هذه المسألة من أحب الاطلاع عليه؛ فليراجع مثلاً معالم التنزيل في تفسير القرآن, أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء, البغوي, الشافعي (ت: 510هـ), تح: عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي –بيروت, ط1 (1420هـ): 161/1 - 168.

[14] ينظر: معاني القرآن, أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ), تح: أحمد يوسف النجاتي, محمد علي النجار, عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر, ط1, (د. ت): 76/1.

[15] ينظر: تفسير القرآن, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى, السمعاني, التميمي, الحنفي, ثم الشافعي (ت: 489هـ), تح: ياسر بن إبراهيم, وغنيم بن عباس بن غنيم, دار الوطن، الرياض – السعودية, ط1, (1418هـ - 1997م): 135/1.

[16] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 184/1.

[17] ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد, محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت: 778 هـ), تح: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون, دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية , ط1(1428هـ): 539/1.

[18] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 362-361/9.

[19] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 212/8.

[20] الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد, تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه, ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب –عليه السلام-، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة, توفي فيها سنة (110هـ), وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار، ينظر: 86- الأعلام, خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ), دار العلم للملايين, ط15 ,- أيار / مايو (٢٠٠٢م): 225/2-٢٢٦.

[21] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه, كان أحفظ أهل البصرة, وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية, ومفردات اللغة, وأيام العرب, والنسب, مات بواسط في الطاعون سنة (118هـ), ينظر: الأعلام: 189/5.

[22] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 293/2.

[23] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ), تح: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط1 (1422هـ): 62/3.

[24] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم, أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ), دار إحياء التراث العربي – بيروت,(د. ت): 85/4.

[25] ينظر: مدارك التنزيل, وحقائق التأويل, أبو البركات, عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ), تح: يوسف علي بديوي, دار الكلم الطيب، بيروت, ط1 (1419هـ - 1998م): 696/1.

[26] ينظر: تكملة المعاجم العربية, رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: 1300هـ), نقله إلى العربية, وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي, جـ9، 10: جمال الخياط, وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية, ط1, (من 1979م - إلى 2000م): 248/7.

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

[27] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 228/20.

[28] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 228/20.

[29] مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم, تابعي، مفسر من أهل مكة, توفي سنة (104هـ), وقيل أنَّه مات ساجداً, قيل عنه أنّه شيخ القراء, والمفسرين, أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟, وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة, وله كتاب في التفسير معروف بـ (تفسير مجاهد), وكان المفسرون يتقونه؛ فسئل الأعمش عن ذلك؛ فقال: كانوا يرون أنَّه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى, واليهود, ينظر: الأعلام: 278/5.

[30] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس حبر الامة، الصحابي الجليل, ولد بمكة, ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وآله, وروى عنه, وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة (68هـ), كان عالماً بالحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر وأيام العرب, أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها: (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر), فحفظها في مرة واحدة، وهي ثمانون بيتاً, وينسب إليه كتاب في (تفسير القرآن) جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه, ينظر: الأعلام: 94/4-954.

[31] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 219/19.

[32] تفسير مقاتل بن سليمان: 592/4.

[33] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 211/5.

[34] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 111/9.

[35] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل, ناصر الدين, أبو سعيد, عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ), تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط1,(1418هـ):287/5.

[36] ينظر: النكت والعيون: 206/6.

[37] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 227/20.

[38] ينظر: تفسير التحرير والتنوير, سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ), الدار التونسية للنشر - تونس (1984هـ): 128/30.

[39] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 106/3- 107.

[40] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/1.

[41] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٤١/1.

[42] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن, صحابي من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقرباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله, وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، ولّي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بيت مال الكوفة, وقدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها سنة (32هـ), نقل عن الرسول الكثير من الأحاديث, وأورد الجاحظ خطبة له ومختارات من كلامه في (البيان والتبيين), ينظر: الأعلام: 137/4-138.

[43] محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري, من أعلم أهل زمانه بالأدب, واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر, والأخبار، قيل أنّه كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن, ولد في الأنبار (على الفرات), وتوفي ببغداد سنة (328هـ), من كتبه: (الزاهر) في اللغة، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات), و(إيضاح الوقف, والابتداء في كتاب الله عز وجل), و (عجائب علوم القرآن), و(الأضداد), و(غريب الحديث) قيل إنه 45000 ورقة, ينظر: الأعلام: 334/6.

[44] محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر, المؤرخ المفسر الإمام, ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة (310هـ), من كتبه: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، في 11 جزءاً، و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، في 30 جزءاً, وغيرها, ينظر: الأعلام: 69/6-70.

[45] ينظر: البحر المحيط في التفسير, أبو حيَّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ), تح : صدقي محمد جميل, دار الفكر – بيروت (1420هـ): 44/3-45.

[46] نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني أحد القراء السبعة المشهورين أصله من أصبهان, اشتهر في المدينة, وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة، وتوفي بها سنة (169هـ), ينظر: الأعلام: 5/8.

[47] ينظر: كتاب السبعة في القراءات, أحمد بن موسى بن العباس التميمي, أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ), تح: شوقي ضيف, دار المعارف – مصر, ط2 (1400هـ): 201.

[48] ينظر: اللباب في علوم الكتاب, أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ), تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ علي محمد معوض, دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان, ط1, (1419هـ - 1998م): 61/5.

[49] ينظر: تفسير الميزان: 88/14.

[50] جامع البيان عن تأويل آي القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ), تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي, بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة, دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, ط1 (1422 هـ - 2001 م): 15/ ٥٩٠.

[51] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه, أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني, ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت : 437هـ), تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي, مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة, والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة, ط1, (1429هـ - 2008م): ٤٥٧٣/7.

[52] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 15/ ٥٩٠-595.

[53] ينظر: تفسير الميزان: 416/19.

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

[54] ينظر: تفسير القرآن العزيز, أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت : 399هـ), تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة, محمد بن مصطفى الكنز, الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة, ط1, (1423هـ - 2002م): 5/30-31, الجامع لأحكام القرآن: 18/٢٧١.

[55] ينظر: تفسير القرآن العظيم: 8/229.

[56] ينظر: تفسير الماتريدي: 10/180.

[57] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/296.

[58] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/296 - 297.

[59] تفسير مقاتل بن سليمان: 1/466.

[60] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار), محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ), الهيئة المصرية العامة للكتاب (1990م):6/276.

[61] سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله, تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق, وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد, أخذ العلم عن عبد الله بن عباس, وابن عمر, وكان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً, قتله الحجاج في واسط سنة (95هـ), ينظر: الأعلام: 3/93.

[62] ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها, أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ), وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (1420هـ. 1999م): 1/208.

[63] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/297.

[64] الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم, مفسر, كان يؤدب الأطفال, ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي, قال الذهبي: كان يطوف عليهم, على حمار! وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم), له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان سنة (105هـ), الأعلام: 3/215.

[65] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 6/127.

[66] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/620.

[67] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري, تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب, الكويت, ط1, (1421هـ - 2000م): 5/254.

[68] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 6/28.

[69] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 1/487.

[70] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 6/28.

[71] إسماعيل بن عبد الرحمن السدي, تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس, توفي سنة (128هـ), ينظر: الأعلام: 1/٣١٧.

[72] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 2/65.

[73] ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: 4/٢١١١.

[74] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 17/204.

[75] محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر, أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء, نزل الشام واستقرّ بها, مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز وأول حد فلسطين سنة (124هـ), ينظر: الأعلام: 7/97.

[76] عبد الرحمن بن كيسان، ابو بكر الأصم, فقيه معتزلي مفسر, توفي سنة (225هـ)، له (تفسير) الأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف قال ابن حجر: هو من طبقة ابن الهذيل وأقدم منه, ينظر: الأعلام: 3/ ٣٢٣.

[77] معالم التنزيل في تفسير القرآن: 4/68.

[78] ينظر: كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ), تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال: 3/١٥٦.

[79] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 17/204.

[80] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 4/68.

[81] ينظر: تفسير المراغي, أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ), شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر, ط1 (1365هـ - 1946م): 23/119.

[82] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن, أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ), تح: الإمام أبي محمد بن عاشور, مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي, دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان, ط1, (1422هـ - 2002م): 8/199, الجامع لأحكام القرآن: 15/193.

[83] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/136.

[84] ينظر: معالم التنزيل في تفسير: 1/719.

[85] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/139.

[86] عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس, تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي, طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا, وذهب إلى نجد الحروري، فأقام ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة, وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي (الصفرية), وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات سنة (105هـ), وكانت وفاته بالمدينة هو و(كثير عزة) في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس, الأعلام: 4/244.

[87] ينظر: معالم التنزيل في تفسير: 1/720.

[88] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/136.

[89] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 1/719.

[90] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 6/10.

[91] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/136.

[92] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 6/11.

[93] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/136.

[94] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 5/137.

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224

(95) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 421/1.

(96) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 130/2.

(97) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 138/5- 139.

(98) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 589/1.

(99) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 137/5.

(100) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 45/17 - 46.

(101) ينظر: النكت والعيون: 473/4.

(102) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : 106/10.

(103) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 430/2.

(104) معالم التنزيل في تفسير القرآن: 430/2.

(105) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 363/2.

Abstract

The importance of the research lies in showing the relationship between the meaning and the multiplicity of grammatical guidance in the reference of the conscience, and the research has shown that there is a relationship between them, as the meaning varies according to the multiplicity of the reference of the pronoun in the Qur'anic verses. From the Qur'anic verses to show the possible directions for the reference of conscience, and the meaning that results from each of these directions

DOI:10.52113/uj05/021-14/1210-1224